الطب والتطبيب في بلاد بابل

Medicine and medicine in the country of Babylon

د. وسن جاسم محمد، جامعة بغداد، كلية الآداب / قسم التاريخ -العراق

wasanjasim@coart.uobaghdad.edu.iq

المخلص

يتناول هذا البحث الطب والتطبيب في العراق القديم وخصوصاً عند (البابليين) ،اذ كان الطب يقسم الى الطب الكهنوتي والآخر الطب العلمي وهذا ما اوضحته دراسة الألواح الطينية التي دونت العلوم الطبية في بلاد الرافدين ، واطهرت لنا ان الطب العراقي القديم كان مرتبطاً بالعرافة والسحر وكان سبب نشأتها والاعتقاد ان مصدر الامراض الشياطين والارواح الشريرة بدليل النصوص الطبية التي تم كشفها عبر العصور التاريخية التي زودتنا بها النصوص المسمارية التي وردت حوالي منتصف الالف الثالث وكذلك الالفين الثاني والاول قبل الميلاد ، وقد تضمنت تلك النصوص معلومات كثيرة عن مهنة الطب وكيفية مزاولته خلال هذه الفترة كما كشفت التنقيبات الاثرية في العديد من المواقع الاثرية في وادي الرافدين ، اذ عثر المنقبين على ادوات دقيقة مثل مشارط وملاقط وكلايب واير ، اذ اوضحت النصوص المسمارية بشكل دقيق مهنة الطب وطبيعة عمل الاطباء في العراق القديم ولاسيما في بلاد بابل وأشور ، وايضاً اوضحت مدى الشهرة التي وصل اليها الطب الرافديني وسعة انتشاره في مناطق عديدة من العالم القديم ، وكان ذلك من خلال اكتشاف العديد من النصوص الطبية المدونة بالاكديية (بابلية واشورية) في تلك المناطق .

وقد اوضح قانون حمورابي المكانة المرموقة التي كان يتمتع بها الطبيب في عهده ولاسيما المادة (215 - 223) الذي يعد من اقدم القوانين الطبية المعروفة انذاك ولاسيما ان مسلة حمورابي

(1792-1750 ق.م) والتي عثرت عليها البعثة الفرنسية في مدينة سوسة عاصمة العيلاميين حيث نهبت من عاصمة البابليين على ايدي نفر من العيلاميين وهي اليوم موجودة في القاعة البابلية في متحف اللوفر في باريس . وقد خص قانون حمورابي احدى عشر مادة للأطباء ،تعالج مواضيع خاصة بممارسة الطبيب لمهنة الطب .

الكلمات المفتاحية: تطبيب، تجبير، التداوي، نباتات، ادوية كيميائية.

Abstract

The research deals with medicine in ancient Iraq from the Babylonians, as medicine was divided into priestly medicine and the other scientific medicine. Diseases, demons and evil spirits, as evidenced by the historical ages, which were provided by the cuneiform texts that were received around the middle of the third millennium, as well as the second and millennium BC. These texts included much information about the medical profession and how it was practiced during this period. Many archaeological sites in Mesopotamia, if the excavators found precise tools such as scalpels, tweezers, clips and needles, as cuneiform texts showed 6 and kaleeb waber, as the cuneiform texts explained in an accurate manner the profession of medicine and the nature of the work of doctors in ancient Iraq, especially in the countries of Babylon and Assyria.

Keywords: medicine splinting by medication plants chemical drugs

المقدمة

يعد الطب من اقدم النصوص البابلية التي تعود الى فترة بابل القديمة في النصف الاول من الالفية الثانية قبل الميلاد اذ كانت بابل في اوج عظمتها وعلى الرغم من الشك الذي كان يراود فكر المؤرخ اليوناني هيروdot(9) في وجود طلب حقيقي في ذلك الوقت ، اذ كان يعتقد بان ام اسموه طباً بابلياً لا يتعدى وجود تجارب ، حيث كتب عن الاطباء البابليين الذين كانوا يخرجون جميع مرضاهم الى الشارع حيث لم يكن لديهم اطباء نظاميين وكان الناس الذين يمرون يقدمون

نصيحة للرجل المريض ويحثوا على اتباع الطرق التي اتبعوها او شاهدوا من اتبعها وحقق الشفاء .

الا ان حقيقة الواقع تنافي ما سبق ذكره تماماً ، اذ كان أي شخص يصاب بالامراض بامكانه الاستعانة بالخدمات الطبية التي تمثلت بنوعين الاول ممارسة الكهنوتي (الاشب) او الاشبو كانت علاجات سحرية من ناحية ومؤثرة نفسياً تأثيراً قوياً ، ومن ناحية اخرى كانت العلاجات طبية بحثته معتمدة على مجموعة منتجة واسعة من الادوية .

اذ عاش الانسان في بلاد وادي الرافدين طوال الالف السنين في بيئة سيطر عليها الدين والالهة ، وسبب الامطار التي كانت تواجهه منذ بدء الخليقة .ففي الالف الثالث قبل الميلاد سمي طبيب باللغة الاكدية (اسو) المشتقة من كلمة سومرية (ازو) وقد تمتاز طبيب عراقي من تشخيص المصاب بالامراض واعطاء الدواء المناسب للشخص المصاب ، وتمثلت وصفات الطبيب بالمصادر النباتية والحيوانية ومغذية وكم يعتمد على التعاويذ والسحر . وكما اعتمد الاطباء اسلافه اما في الالف الثاني قبل الميلاد فقد تطور الطب بشكل كبير وهذا ما اوضحت لنا قانون حمورابي الذي ميز بين الطبيب والجراح البيطري وتحديد عملهم والاجور التي يتقاضوها لحماية المواطنين من الجشع والاختار التي يتعرضون لها لذلك وضع حمورابي قانون عقوبات على الاطباء الذين يسيئون استخدام مهنة الطب التي يزاولونها . اذن دراسة تاريخ الطب البابلي يجسد فكر العلم الرافديني المنهجي الذي يوضح التطور التقني والصناعي في عملية صناعة الادوية وخلط الاعشاب ، اضافة الى ما تقدمه من معلومات ورقية عن المعتقدات الدينية المجسد بالممارسات السحرية، كما وضح اهم المشاكل التي يعاني منها الانسان قديما وحديثا.فضلا عن وضع الاسباب والحلول بما يتفق مع طبيعة الامراض ودرجة خطورتها، ومعرفة الاساليب العلاجية من اجل شفاء المريض وتمكنه من التخلص من الامة.

اولا:- الطبيب في بلاد بابل

تعد مهنة الطب في العراق القديم من اهم المهن حيث تعود الى الالف الثالث قبل الميلاد وكان الطبيب (asu)(ساكر، 1999، ص322-323)،اللغة الاكدية مشتقة من الكلمة السومرية (A-

ZU) وهي تعني الرجل الذي يعرف الما (او الزيت) وقد عثر على اكثرمن نص طبي لهذه الفترة في مدينة نفر بالقرب من مدينة عفك جنوبي العراق (الشيخلي، 2014،ص290) .

وقد روت لنا قصة فقير نفر التي تعود للعصر البابلي القديم اذ روت الحكاية الثالثة انشطة هذا الشخص المحب للمزاح المتكرر بهيئة طبيب (asu) ووصف مظهر الطبيب بانه حليق الوجه ويحمل رمزي مهنته قارورة الشراب والمنجرة أ، فيما تشير نصوص أخرى الى ان الطبيب كان يحمل كيس اعشاب ايضاً وكانت مدينة ايسن العلمية مركز مدرسة مهمة للطب والهها لولا الها للطب (باقر، علي، سليمان، 1980،ص215) .

هذه القصة اكدت ان الطب معروف منذ القدم ووجود الأطباء كذلك جاء هذا على عكس ما ادعاه هيرودوتس عندما قال اثناء زيارته لبابل لم يكن هناك أطباء في بلاد بابل في القرن الخامس قبل الميلاد ، اذ كانت هناك ممارسات طبية موضوعية حسب ما اكدتها النصوص المسمارية التي ذكرت ان الطبيب اسو (asu) كان يقوم بمراقبة المريض ومراقبة اعراض المرض التي تظهر عليه ثم يقوم بتشخيص المرض ووصف الدواء الذي يناسب مرضه وقد اطلق على هذه الممارسة الطبية باسم (asutu) أي الطب العلمي(اوتس،1990،ص278). اذن الممارسات الطبية ظهرت في حضارة وادي الرافدين منذ اقدم الازمات وهي مستقلة ومتميزة(سليمان، 1993،ص317).

ولا سيما كان الطبيب البابلي (asu) قد وصل الى مستويات متقدمة في مهنة الطب ، اذ ان ممارسة الطب البابلي تظهر مستوى فن طب الأعشاب التقليدي الذي يعتمد على ادوية كثيرة منها ادوية ذات قيمة طبية معروفة(باقر، علي، سليمان، 1980،ص214). ومن القرن الرابع عشر قبل الميلاد ووصلت لنا رسائل اجنبية من خارج وادي الرافدين تؤكد بان الأطباء البابليين كانوا يدعون الى البلدان المجاورة لاستشارتهم والاستفادة من جدارتهم وتقديمهم العلمي ومثال على ذلك رسائل ماري التي تصف لنا طبيعة الطب البابلي وتوضح لنا أسماء وفعاليات جملة أطباء بابليين كانوا في خدمة الملك والحكام التابعين له في المناطق المجاورة اذ كان الملك هو المسؤول عن ترقية هؤلاء الأطباء وتسندهم مناصب اعلى وكان ذلك يتم بصورة مباشرة يتدخل

بصورة شخصية من اجل تثبت تعيينهم بصورة مؤقتة او دائمة في داخل البلاط او خارجه في الأقاليم والمدن التابعة لملكه (اوبنهايم ،1981،ص387).

واكد حمورابي من خلال قانونه الشهير والذي نص على وجود أطباء مستقلين مسموح لهم ممارسة فنون طبهم من أي وقت يختارونه . إضافة الى ذلك قد حددت اجرة الطبيب عند مراجعته المريض وتثبيتها من قبل القانون ، وكذلك نجد ان العقوبة القانونية تأخذ مجراها في حالة ارتكاب الطبيب لاي خطأ بتسبب بوقوع حادثة معينة ويبدوا ان العقاب كان صارماً جداً (سليمان ،1987،ص267)، ولاسيما نص القانون على بتر يد الطبيب الذي يتسبب بموت المريض خلال العملية اذا كان رجلاً حراً وليس عبداً(سليمان،1987،ص267).واشهر مادة التي شرعها الملك حمورابي هي المادة (218)التي نصت على((اذا احدث الطبيب جرحا عميقا في جسم رجل حر ومات الرجل، او حدث ثعبا في عينه وعميت العين، قطعت يد الجراح)(سليمان،1987،ص267).

اما بالنسبة لأصحاب المراتب فكان الوضع هنا يختلف حسب الطبقة الاجتماعية التي تخص المريض وحسب خطورة حالته . فقد تميزت اجرة الطبيب بالنسبة للرجل الحر فكانت معالجته عملية التجبير البسيطة لكسر او معالجة ما عادية يدفع لها خمسة شيقلات من الفضة (كل شيقل يعادل حوالي 8 غرامات) اما اذا كان الرجل عبداً فيدفع شيقلين فقط اما في العمليات الصعبة والمعقدة وعند حدوث خطأ ما فقد يتسبب بتطبيق قانون العقوبات على ممارس الطب هذا ونلاحظ ان السعر يرتفع في بعض الحالات الى عشر شيقلات من الفضة (البيديري،2000،ص29)

ثانيا:- اساسيات تشخيص الامراض

كان السكان في بلاد الرافدين ولاسيما سكان بابل يعتقدون بوجود الأرواح الخبيثة التي لها طاقة خارقة تتفوق بها على البشر الا انها اقل قدرة من الالهة ، وقد صورت الأرواح الخبيثة بشكل يثير الرعب والخوف ، مثلما وصفت في النصوص المسمارية وهي تعبير عما يتصوره العراقيون القدماء إزاء تلك المخلوقات(علي، 1985،ص202).

اذن يمكن القول ان سكان بلاد بابل القدماء اعتقدوا بل وأرجعوا سبب الامراض الجسدية والنفسية التي تصيب الناس في بعض الأوقات الى اعمال الشيطان والارواح الشريرة (باقر، علي، سليمان، 1980، ص218)، وفي الوقت نفسه كانت الالهة تصيب البشر ببعض الامراض والالام نتيجة ارتكاب الشخص خطأ او أي ذنب اتجاه الالهة وكذلك الشياطين تصوب البشر وتسبب لهم الامراض المختلفة (عبد الرحمن، 1989، ص104-118)، اذ يعد هذا احد الاسباب الرئيسية للأصابة بالأمراض بسبب مايرتكبه الاشخاص من اثم ومعاصي بحق الالهة(البديري، 2000، ص29)، اذ كان بنظرهم ازالة تلك الامراض والشفاء منها لا يتم الا بأخراج الارواح الشريرة والعرافيت من اجسام المرضى ، وهذا الأمر لا يتم الا من خلال الاساليب الكهنوتية التي كان للسكان اعتقاد بفاعليتها واثرها الكبير في القضاء والتخلص من الامراض عن طريق التعزيم والرقي (Ritter, E., 1965, p.311) .

وقد كان للمياه اثر كبير في شفاء الاشخاص المصابين بالتطهير والعلاج وعدوه عنصرا اساسيا في العديد من تلك الاساليب التي تساعد المريض على الشفاء (James, E., 1961, p.706) وهذا ما دلت عليه التعمية الاتي:-

((مرودخ يا ابن ايا بالماء الصافي سبع مرات، ثم سبع مرات رش المريض

طهر المريض، نق المريض وابعده عن العفرية

رابيص)) (الامين، 1952، ص45).

توضح التعمية، ان عل الاشب اي الساحر ان يرش جسد المريض بالماء المقدس النقي من اجل اخراج العفاريت من جسده وتطهيره من المرض.

ثالثا:- الوصفات الطبية لمعالجة المرضى عند البابليين

1. وصف دقيق لاعراض المرض والتشخيص المفروض .
2. الادوية والاعشاب التي يجب تحديد استعمالها وطريقة تحضيرها واعطائها للمريض .
3. نتيجة العلاج (الاحمد، 1988، ص66)(الشيخلي، 2014، ص291).

اذن حددت أساليب العلاج في العراق القديم بالتحديد في بلاد الرافدين بعد تشخيص الامراض وإعطاء الدواء المناسب ، وهذا دليل على حسن المعرفة بالعقاقير وتراكيبها ، اذ كان مصدر الطب عندهم من الالهة التي يعود لها الشفاء من المرض ، وقد كان الاله (أيا) الحكيم سيد المياه هو اله الطب والأطباء مما يدل ان للماء دوراً كبيراً وبارزاً في الطب القديم . فكانت أساليب العلاج بالعقاقير الطبية والتمريض والعلاج بواسطة العمليات الجراحية واخيراً بالبرقي والتعزيم لطرد الأرواح والشياطين(الأحمد،1988،ص66).

أكدت لنا النصوص الطبية التي خلفها لنا الأطباء التي ميزوا فيها صنفين رئيسيين الأول : نصوص خاصة لتشخيص المرض والانذار والتنبؤ ، اما الصنف الثاني : فيتألف من النصوص خاصة بالعلاج بالتداوي ، كما تم العثور على نصوص طبية تعود الى منتصف الالف الثاني قبل الميلاد عثر عليها في خانوشا (بوغازكوي) العاصمة الحثية ، كما تم التعرف على وصفة طبية مدونة باللغة السومرية من عصر سلالة اور الثالثة ، الا ان معظم معلوماتنا عن التعرف على الطب العراقي القديم من العصر البابلي القديم مستمدة من العدد الكبير من النصوص الطبية المتوفرة في مكتبة اشور بانيبال المكتشفة في تل قوينق في مدينة نينوى والتي تعود للقرن السابع قبل الميلاد (روثن،1980،ص77).

ومن الجدير بالذكر تم تحديد مائتين وخمسين نوعاً من الأعشاب المستعملة من قبل الأطباء البابليين كما اكد العالم جورج كونتينيوليس امراً سهلاً ، وقام العالم كامبل تومبسون بدراسة (650) لوحاً طبياً وقارنها بما تعرفه عن الطب السرياني وكذلك بمجموعة من نباتات بلاد الرافدين الا ان قسماً منها لا زال غير واضح المعالم (روثن،1980،ص77).

ومن هذه الأعشاب المستعملة بشكل مؤكد في الطب تذكر ، الحشائش ونبات السكر ونبات الخردل ونبات الكركم ونبات الزعفران، وهكذا تم استخدام الاعشاب-والجذور والسيقان والاوراق اذ كانت تستخدم اما جافة او مسحوقة ومغربة ،واحيانا منقوعة ومغلية ، فضلاً عن مزجها بمواد مثل البيرة والخل والعسل والشحم ،بعضها يؤخذ عن طريق الفم والبعض منها يوضع على الجسم مباشرة بواسطة الزرق والحقن (او بنهايم، 1981،ص383)،وقد ذكرت الأدوات الطبية

التي عثر عليها المنقبون منها شفرات الصيدلاني والانايبب المعدنية والمبضع الذي يسمى (سكين الحلاق) ولا سيما كان استعمال هذه الأدوات لآخراج ولاغرض الجراحة الأخرى وعلى الرغم من ذلك فقد كانت الإشارات الأساسية منها قليلة جداً (لابات، 1985، ص151).

رابعاً :- المواد والأدوات الطبية

كان للأدوية والمفردات الطبية التي استعملوها سكان العراق القديم سواء البابليين والاشوريين في علاجاتهم الطبية والتي تم حصرها بثلاثة مصادر رئيسية هي :

1. الادوية النباتية العشبية (herbal) .

2. الادوية الحيوانية .

3. الادوية الكيماوية المستخرجة من المعادنات (Minereals) (ساكر، 1999، ص327).

اذ كانت الادوية المستخرجة من الأعشاب والنباتات في مقدمة الادوية او المفردات الطبية (martial medical) بحيث ان الكلمة التي تطلق على الأعشاب في البابلية هي شمو (shammu) اطلقوها على الدواء بوجه عام . ومن الجدير بالذكر ان هذه الادوية العشبية التي استعملت في بلاد بابل كانت تضاهي الى حد كبير استعمالاتها عند الأمم اللاحقة ولاسيما الطب اليوناني ، بحيث نجد ان الباحثين الذين كتبوا في المفردات الطبية البابلية قد استندوا في كثير من الحالات الى تلك المضاهاة في تعيين أسماء الكثير من النباتات والاعشاب الواردة في المصادر المسمارية (كوتنيتينو، 1979، ص490).

الخاتمة :

يمكن ان نستنتج من الطب والتطبب عند بلاد بابل بان الانسان حاول بكل الطرق ان يعالج مرضاه ويخفف عنهم الالامهم واستخدم النباتات والاعشاب والمواد الحيوانية والمعدنية واستخدم النباتات والاعشاب والمواد الحيوانية والمعدنية كثير من المواد التي تبين من خلال ممارساته العلاجية بانها ناجحة في محاربة الامراض .

اذن أهمية دراسة تاريخ الطب في علومه في بلاد الرافدين بشكل عام وفي بلاد بابل بشكل خاص تتمثل بعدة نقاط تشتمل على ان الطب يجسد الفكر العلمي الرافديني المنهجي الذي يرصد المشاهدة ويحاول تقصي علاقتها بما حولها قبل ان يوثقها وهي قمة المعرفة العلمية ، كما انها توضح التطور التقني والصناعي في عملية صناعة الادوية وخط الأعشاب ، إضافة الى ما تقدمه من معلومات جزيلة عن المعتقدات الدينية بالممارسات السحرية ،من الجدير بالذكر ان لظهور الكتابة وانتشارها ادت الى زيادة من معرفة الانسان في جميع مجالات الحياة ،ولاسيما العلوم والمعارف ، وبشكل خاص معارف الطب التي وصلت الى مرحلة راقية ابان العهد البابلي القديم ،والعهود الحديثة .

المصادر العربية والاجنبية:-

- 1- اوبنهايم،ليو، بلاد ما بين النهرين ،ترجمة سعدي فيضي عبد الرزاق، دار الحرية للطباعة-بغداد(1981م).
- 2- اوتس ،جون ،بابل تاريخ مصور ،ترجمة سمير عبد الرحيم الجليبي، دائرة الاثار والتراث-بغداد(1990م).
- 3- الأمين،محمود،فرنسيس،وبشير، شعار سومر رمز الحياة الخالدة والحكمة والعرفان، بيروت(2007م).
- 4- باقر،طه، علي،فاضل عبد الواحد،سليمان،عامر،تاريخ العراق القديم، مطبعة جامعة بغداد(1980).
- 5- البدري،عبد اللطيف،الطب في العراق القديم ،المجمع العلمي العراقي-بغداد(2000م).
- 6- روثن،مارتن،علوم البابليين،ترجمة يوسف حتي،بغداد(1980م).

- 7- ساكز، هاري، قوة اشور، ترجمة عامر سليمان، مطبعة المجمع العلمي - بغداد (1999م).
- 8- ساكز، هاري، عظمة بابل ،ترجمة عامر سليمان، لندن (م1962)، موصل (1979م).
- 9- سليمان، عامر، العراق في التاريخ-موجز التاريخ الحضاري ، جامعة الموصل (1993م). 110-الشيخلي، عبد 10-القادر الشيخلي، الوجيزفي تاريخ العراق القديم، دارالرافدينبيروت-لبنان (2014م).
- 11- علي، فاضل عبد الواحد، العرافة والسحر، حضارة العراق ، ج1، بغداد (1985م).
- 12- الخطيب، عبد الرحمن يونس، المياه في حضارة وادي الرافدين، دار الكتب والوثائق-بغداد (2014م)
- 13- كونتينيو، جورج، الحياة اليومية في بلاد بابل واشور، ترجمة سليم طه التكريتي وبرهان عبد التكريتي ، بغداد (1979م).
- 14- لابات، رينيه، المعتقدات الدينية في بلاد وادي الرافدين ، ترجمة الاب البيرابونا ووليد الجادر، بغداد (1985م).

المصادر الانكليزية

- 1-James,E.O.,Water,Water God,ERE,vol.X11,(New York:1961).
- 2-Ritter,E.Magical Expert Asipu and Physican Asu,Notes on two Comple-mentary Professions in Babylonian Medicin,(AS),Vol.XV1,(Chicago:1965).